ما قوله في الذين أنفقوا أعمارهم منذ فجر التاريخ حتى اليوم في الدرس والتنقيب والتمحيص والمقارنة والاستنتاج والتبويب والتنظيم فكانت له سائر العلوم والفنون التي لولاها لما كانت حضارة ولا كانت مدارس؟

ثمّ ما قوله في أبويه وإخوته ورفاقه وكلّ من عرفهم من بني البشر؟

وأخيراً ما قوله في كلّ ما يقع تحت حواسّه من مظاهر الطبيعة في النهار وفي الليل، ـ في اليقظة وفي المنام؟ ـ أليس كلّ هؤلاء معلّميه كذلك؟

إن ما ندرسه في الكتب على أيدي أناس ندعوهم معلمين وفي بيوت ندعوها مدارس لشيء ضئيل ـ وضئيل جدّاً ـ إذا هو قيس بما ندرسه من غير كتب ومن غير معلّمين أو مدارس، فالكتاب مهما طال، ومهما بلغ من قوّة التعبير ودقّة العرض وأناقة الترتيب وجودة التبويب لا يتعدّى كونه كتاباً تحتويه دفّتان. فلا بدّ له من فاتحة وخاتمة. ولا بدّ له من أن يمثل رأي إنسان واحد، أو رأي جمهور من الناس. ونحن قد نقرأ فيه ساعة أو ساعات فنملّه، وقد يستهوينا فنعود إليه مرّة بعد مرّة. ولكننا لن نقرأه في كلّ ساعة من كل يوم، ولا في كل ثانية من كل ساعة.